30
فكرة
من وحي الممارسة التربوية

محمد الحسين نحوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

30

فكرة من وحي الممارسة التربوية

محمد الحسين نحوا

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهداه.

وبعـد: فهـذا الجزء الثاني من تجربتـــــي المتواضعة في سلك التدريس بالتعليم الثانوي التأهيلي، ضمنته ثلاثين فكرة من الأفكار والخواطر التي جمعتها في هذه السنة الدراسية، بثانوية أم الربيع التأهيلية بسوق الأحد التابعة لنيابة إقليم الفقيه بن صالح(1436هـ 2015 م).

أحببت أن أدونها تذكرة لنفسي ولغيري ممن سيطلعون عليها، عسى أن يظفروا فيها بشيء يعينهم في مهمتهم الشريفة، وقد شجعني على هذا التقييد ما لقيه الجزء الأول في السنة الماضية المعنون بـ: (20 فكرة من تجربة السنة الدراسية الأولى 1435هـ 2014م) من الحفاوة والإشادة من لدن ثلة من زملائي الأساتذة عامة، ومن سعادة السيد مفتش مادة التربية الإسلامية خاصة ذ. المصطفى المتاقي، حيث كتب لي رسالة بعد اطلاعه على ما دونته، ومن جملة ما جاء في رسالته قوله: (لقـــد اطلعت على ما سطرته من تجارب في بداياتك المهنية، وأثار إعجابي فيها تفاعلك الإيجابي مع المحيط، وطرحـــك لقضايا تربوية ومعرفيـــــة قلما ينتبه إليها أكثـــر الأساتذة، ولعل ما طرحته يشكل أرضية لطرح نقاش جدي وبنَّاء بين أساتذة التربية الإسلامية بالمنطقة، خاصة في الجانب العلائقي والتواصل الصفي، إضافة إلى الأسس المعرفية الشرعية، ...).

وقد لقي هذا الجزء أيضا من التشجيع والإشادة به من لدن صفـــوة السادة الأساتذة والمربين، ما يوقظ همتي، ويحثني على المزيد، كما سترى أيها القارئ الكريم في تقديم الأستاذين الفاضلين: سعادة السيد مفتش التربية الإسلامية بنيابة

شبكة الألوكة www.alukah.net

إقليم الفقيه بن صالح الأستاذ المصطــفى المتاقـي، وفضيلة السيد مفتش التربية الإسلامية بجهة مراكش تانسيفت الحوز الأستاذ كمال وجاد.

هذا ولم ألتزم فيما دونته في هذا الجزء بترتيب أو تصنيف معين، وإنما أذكر ما حضرني من الأفكار والتجارب حسب الإمكان.

واعترافا بالفضل لأهله، فإنني أشكر جميع من أفادوني في هذه التجربة مـــن قريب أو بعيد، وأخص بالذكر السيدين المفتشين صاحبي المقدمتين الآتيتين قريبا: ذ. المصطفى المتاقي، وذ. كمال وجاد، ثم زملائي الأساتذة والأستاذات فـــي الثانوية، وأبنائي وبناتي المتعلمين الأعزاء من جميع المستويات، وخاصة الذين استفدت منهم استفادة مباشرة في جمع هذه الأفكار.

فلكل هؤلاء جميعا أهدي هذا التقرير المختصر الذي أحسبه ثمرة من ثمار العمل معهم، سائلا الله تعالى لي ولهم التوفيق والسداد في الأقـــوال والأفعـــال، وأن يجزيهم عني كل خير، وأن يبارك في جهودنا جميعا، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفعنا بما نتعلم وينفع بنا، إنه جواد كريم.

وحرر ببني ملال يوم الجمعة 9 رمضان المعظم 1436هـ الموافق لـ: 26 يونيو 2015م.

ذ. محمد الحسين نحُّوا

المرجو ممن اطلع على هذه التجربة، وله عليها ملاحظات، أن يتكرم بها، ويراسلني على البريد الإلكتروني الآتي: mohamed.nahhou@gmail.com

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كلمة السيد مفتش مادة التربية الإسلامية بنيابة إقليم الفقيه بن صالح

بعد اطلاع فضيلة السيد مفتش مادة التربية الإسلامية ذ. المصطفى المتاقي على هذه التقرير، تفضل _ مشكورا _ بتسطير كلمة، بث فيها مشاعره تجاه التجربة المتواضعة، وفيما يلي نص كلمتـــــه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذي الفاضل محمد الحسين نـحوُّا:

اطلعت على تجربتكم والتي تشي بمدى اهتمامكم بقضايا تدريس المادة وما تحتاجه من آليات تبدأ من سلوك الأستاذ في علاقته بالمتعلمين، وتمر بمدى قدرته على توظيف معارفه الديداكتيكية والبيداغوجية، ومدى إخلاصه في الوصول إلى قلوب المتعلمين قبل عقولهم، وانتهاء بالتقويم وما يحمله من تمثلات لدى التلاميذ وبعض الأساتذة.

والحق فقد أجملت وأحسنت وجمعت.

نسأل الله لك التوفيق في استثمار هذه التجربة وتطويرها مع الممارسة، وتأكد أن التجارب لا تنتهي في مهنتنا، وكل موسم لا بد أن يجمل الجديد.

تحياتي مع كامل التقدير.

ذ. المصطفى المتاقي: مفتش مادة التربية الإسلامية بنيابة إقليم الفقيه بن صالح.

صباح يوم السبت 17 رمضان 1436هـ الموافق لـ 4 يوليوز 2015م.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مقدمة الأستاذ الفاضل كمال وجاد مفتش التربية الإسلامية بجهة مراكش تانسيفت الحوز

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على نبي الهدى القائل في جوامع كلمه: " خيركم من تعلم القرآن وعلمه" ، وعلى آله وصحبه الأطهار.

تأتي فوائد الأستاذ محمد نحُّوا خفيفة المحمل سهلة الهضم، يصحبك فيها من خلال موسم دراسي كامل في تجارب ومحطات وعلاقات وانشغالات تربوية راقية، وذلك بلغة انسيابية تروم الجزالة في المبنى والدقة في المعنى.

تجارب وإن ادعى صاحبها أنه حديث عهد بالتدريس، إلا أنه أبان عن عمق في النظر وقدرة على وضع الأصبع على جملة من الاختلالات المرتبطة بالممارسات الصفية، دون أن يحيد عن الأدب الجم في التوجيه، وعن الحِلم والحكمة في التسديد والنصح.

ومما زادها رونقا، ما تخللها من حوارات صفية وتربوية حية، تجعلك عنصرا متفاعلا تواقا لمعرفة ما ينتهي إليه كل حوار.

إن الساحة التربوية بقدر ما هي في حاجة الى أدبيات تربوية تنظيرية، هي أيضا في حاجة إلى تقديم تجارب حية من وحي الممارسة التعليمية التعلمية، تكون موضعا للمناقشة والحوار الهادئ.

إن مجرد التفكير في كتابة هذه التجارب والعمل على تقاسمها

شبكة الألوكة www.alukah.net

وتغليب الجانب العملي الإجرائي في صياغتها لهو مما يُحمد عليه صاحبه. فكيف وقد سبقها بمثيلاتها خلال الموسم الدراسي الفارط، ونرجو أن يردفها بنظيراتها في المواسم القادمة إن شاء الله تعالى، حتى تخرج إلى النور في كتاب يأنس به المربي المبتدئ ولا يذره المدرس المنتهي.

وفقنا الله تعالى وإياك لأداء الأمانة على أكمل وجه، ونفع بنا ناشئة هذه الأمة، وجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

كمال وجاد

17 رمضان 1436هـ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كلمة للأستاذ الفاضل جواد عابيد أستاذ الاجتماعيات بثانوية أم الربيع التأهيلية أحد بو موسى

تحية طيبة إلى أستاذي وصديقي سيدي محمد الحسين نحُّوا

☒ لقد اطلعت على تجربتك أكثر من مرة، وبصدق أقول إنه لشيء رائع أن تُتوَّج السنة الدراسية بتقرير وتجربة من هذا الوزن، تدون فيها أفكارٌ وخواطرُ دفينة جالت في أنفس الكثير منا نحن كأساتذة ناقشناها في العديد من المرات، ولم نجرؤ على تسجيلها لنتقاسمها لتعم المعرفة. لقد أصبت وأجمعت بطرحك لمعظم القضايا التي تواجهنا على اختلاف مشاربنا، والأكثر من ذلك أنك لم تقتصر على طرحها فحسب، وإنما وافيتنا بحلول حسب رأيك السديد.

☒ أستاذي الكريم استفدت أيما استفادة من تجربتك المدونة والرائعة، والتي ظفرت فيها بالكثير من الفوائد والعبر، وأشاطرك الرأي في جميع الأفكار التي أوردتها بدون استثناء، بل أطلعتني على أمور وأفكار لم أخمن فيها قط، فعلا أسعفتني أفكارك هاته للرقي كليا بتصوراتي حول العملية التعليمية التعلمية، وإعادة رسم صورة واضحة حول شخصية الأستاذ بما تحمله هذه الكلمة من معاني الجد والاحترام والحزم والإخلاص والعدل والتفاني والإبداع...، على اعتبار أن تصورات التلميذ حول الأستاذ

شبكة الألوكة www.alukah.net

وشخصيته هي هاجس يؤرق كل أستاذ يحمل المشعل بتفان، كما ستساهم تجربتك إن شاء الله في تمهيد السبيل لتخطي جملة من الصعاب، سواء تلك التي يكون مصدرها المتعلم أو الأستاذ نفسه بأساليبه وطرقه في التدريس، وسيصبح بلا شك التعامل مع المتعلمين أكثر سهولة مع الممارسة المهنية المستمرة التي يبقى لها دور أساس في صقل شخصية الأستاذ سنة بعد سنة.

 ومن جملة ما تعلمته أيضا من تجربتك صديقي الفاضل، أن الأستاذ وجب عليه إطلاق العنان لتفكيره، وينظر فيما يجود به خاطره من إبداع في سبيل تذليل الصعاب وتجديد حياته المهنية، وذلك بإعطاء مساحة لتدبير أفكارنا على أرض الواقع.

وفقنا الله وإياك لما فيه الخير والسداد، وكما سبق وقلت هذه أفكار سديدة من رجل سديد الفعل والقول، جعلك الله منبعا للعطاء والجود والكرم كما عهدناك.

شكرا جزيلا أستاذي لتقاسمك معنا عصارة تجربتك، وبارك الله فيك وجزاك عنا خير الجزاء.

صديقك جواد عابيد

يوم الأحد 18رمضان 1436هـ 5 يونيو 2015 م.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

1_ أول درس تعلمته من تجربة هذه السنة الدراسية، أن التفاؤل مفتاح عظيم لنجاح عمل الأستاذ مع المتعلمين، ومع زملائه في العمل، ومعنى ذلك أن على الأستاذ أن ينظر إلى الجوانب الإيجابية في عمله، وهي كثيرة لا تكاد تُحصى، ولا ينظر إلى بعض الأمور السلبية التي تحدث أحيانا، ولا يخلو منها أي عمل.

وقد أفادتني التجربة أن خير علاج ودواء لجميع المثبطات في العمل هو تركها ونسيانها وعدم شغل البال بها، لأن الشيء إذا حدثْت به نفسك يوما بعد يوم، أصبح له سلطان على قلبك وتفكيرك، وربما يتكاثر ويتناسل إلى أن يصعب عليك دفعه، فإذا تركته وسكتت عنه يتلاشى وينقص حتى ينتهي.

2_ علمتني التجربة أن أخلاق الأستاذ الحسنة، وعمله الجاد، هي أفضل من تصنع له تلك السلطة الرمزية لدى المتعلمين، وتجعلهم يحترمونه.

3_ علمتني التجربة أن الدرس الناجح هو الذي ينبثق من عقول المتعلمين، وهو ذلك الدرس الذي يكون فيه إشراك للمتعلم في جميع مراحل بنائه، فيشعر بذاته فيه، وهو الذي يبني فيه المتعلم الدرس بالطريقة التي تلائم إدراكه، و ليس أن يملى عليه إملاءً، وينزل عليه إنزالاً، و هنا نستحضر القولة التي تقول :

" **قل لي سائسي، أرني ربما أتذكر، أشركني سأفهم** ". فهل يا ترى نستطيع أن نصل الى هذه المرتبة، لنشرك المتعلم ونبني مواطنا صالحا ومؤمنا فاهما لدينه وغاية وجوده في هذا الكون؟ !

4_ أفادتني تجربة التدريس أن مناقشة موضوع الدرس مع المتعلمين في بداية أي حصة، وتشخيص بعض تمثلاتهم حوله، والتعاقد معهم منذ البداية على أهدافه وكفاياته، لهو أمر في غاية الأهمية، إذ يساعد هذا الأستاذَ على معرفة مستوى متعلميه، وتشجيعهم على المشاركة في بنائه، مما يحقق الهدف من العملية التعليمية التعلمية.

يقول الأستاذ الكريم كمال وجاد: (لك أن تكتشف عن تلك المتعة التي يحس بها المتعلم وهو يبني معارفه ويطور مهاراته بنفسه.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حينها ستعيد حتما رسم هامش تدخلاتك في سيرورة بناء الدرس).[1]

5ـ علمتني تجربتي المتواضعة أن حب الأستاذ للمتعلم، وكذا حب المتعلم لأستاذه، مفتاح مهم من مفاتح نجاح عمل الأستاذ والمتعلم معا، ومن الخطأ العظيم إغفال هذا الأمر، وما رأيت أفضل وسيلة لغرس هذه العلاقة الطيبة بين الأستاذ وتلميذه، من أن يبدأ بها الأستاذ فيحققها في نفسه أولا، وبذلك يسهل أن يحققها المتعلم بعده.

فالعلاقة الوجدانية بين الأستاذ والمتعلم إذا أُحسن توظيفها، تكون لها آثار إيجابية في إيصال رسالة الأستاذ للمتعلم، وكذا سرعة استجابة المتعلم للرسالة.[2]

6ـ جاءني متعلم ذات يوم من أيام هذا العام وقد احمر وجهه وتملكه غضب شديد، وبدأ يسرد علي ما يتوهمه من تمييز الأساتذة وتفضيلهم بعض المتعلمين على بعض، وأقسم بالله جهد أيمانه أن كل الأساتذة في المؤسسة يفعلون هذا، فتركته حتى فرغ من كلامه، ولما هدأ روع تلميذي العزيز وسكت غضبه بعد جهد كبير، قلت له:

يا بني: أعطني دليلا واحدا ملموسا على صحة دعواك، فقال لي: ليس عندي دليل ملموس على ما أقول، ولكنه إحساس أشعر به ولو لم أجد له دليلا، أما ترى

---

1 مختارات تربوية، للأستاذ الفاضل كمال وجاد: مفتش مادة التربية الإسلامية بجهة مراكش تانسيفت الحوز، رقم: 22

2 حينما كنت أدون هذه الفكرة، جرى حوار بيني وبين زميلتي الأستاذة الكريمة مريم زخنيني، أستاذة التربية الإسلامية بجهة مراكش تانسيفت الحوز في موضوع كيفية التعامل مع المتعلمين، ومما ورد في الحوار هذا السؤال الذي قلت فيه: ما هي أحسن وسيلة في نظرك لضبط المتعلمين في القسم؟

فكان جوابها:

- ✓ الود والعطف ومشاركة المتعلمين همومهم واهتماماتهم.
- ✓ احترامهم وحسن التعامل معهم.
- ✓ الصدق في تعليمهم.
- ✓ وبذل الجهد في انتقاء أفضل المعارف لهم.
- ✓ وكذا اختيار أيسر السبل لإفهامهم.
- ✓ والله عندما يستشعرون حبك لهم يعاملونك أفضل معاملة، ويصبحون جزءا من حياتك وتصبح جزءاً من حياتهم.

شبكة الألوكة www.alukah.net

أستاذي أن في الواقع أشياء كثيرة نحس بها دون أن تكون عندنا براهين عليها؟.

فقلت له: أو لا تجد دليلا ملموسا على التمييز والتفاضل بين المتعلمين في اختلاف وتفاوت نقطهم بعد كل امتحان؟! ففرح المتعلم العزيز وأشار برأسه: أنْ نعم.

فقلت له: اسمع مني يا عزيزي: إن التفاضل والتمييز منه ما هو إيجابي وطبيعي ولا بد أن يكون في الكون، وينبغي أن نقبله، ومنه ما هو سلبي ومذموم وينبغي أن نرفضه.

فقال لي: أرشدني ـ جزاك الله خيرا ـ إلى الفرق بينهما حتى أميز بين الأمرين ويطمئن قلبي وتزول حيرتـي.

فقلت له: سأقتصر لك على ذكر التمييز الإيجابي الذي ربما اختلط عليك أمره هنا في المؤسسة فتوهمت أن الأساتذة يقعون فيه، فمن صوره أن ينال المتعلم المجتهد أحسن النقط ويتربع على عرش قلوب أساتذته، وهلُمَّ جرّاً، إذ من الظلم أن نسوي بين المتعلم المجتهد المنضبط الذي يعرف ما له وما عليه، وبين متعلم آخر لا هو في العير ولا في النفير كما يُقال، فهل ترضى لنفسك إذا بذلت جهدا تستحق عليه الجزاء الأحسن، أن تُعامَل معاملة المقصر الذي لم يبذل أي جهد؟

كلاَّ، فإكرامُ المحسنِ، وعقابُ المسيء، أو علاجه، ومحاولةُ استصلاحه مطلبٌ شرعي، ومقصد اجتماعي من شأنه إصلاح الأحوال، والارتقاء بالأعمال؛ فإذا أُشْعِرَ المحسنُ بإحسانه، وكُوفئ على ذلك ولو بالكلمة الطيبة كان ذلك دافعاً له للإقبال على العمل، والمزيد من الجد والإبداع.

وكذلك المسيءُ أو المُقَصِّرُ - إذا عوتب، أو عوقب - كان ذلك رادعاً له عـن التمادي في التقصير؛ فيعان على نفسه، ويكون ذلك سبباً للرقي بأدائه، فهذا وما أشبهه لا تنكره علينا يا تلميذي العزيز.

فتبسم المتعلم العزيز ضاحكا وقال: وهل تنكر يا أستاذي وجود التمييز الآخر الذي لم تذكره، وما منعك أن تذكره؟

شبكة الألوكة www.alukah.net

فقلت له: لا أنكر ذلك يا بني إن وقع مني أو من غيري، فأنا أرفض أي تمييز سلبي بين المتعلمين، لأنهم أبناؤنا وبناتنا لا نفرق بين أحد منهم إلا باجتهاده وحسن أخلاقه، نقول للمحسن منهم: أحسنت ونشجعه، ونقول للمسيء منهم والمتعثر: أحسن عملك وانهض من عثرتك.

وقصـــدي من إيــراد هذا الحوار هو التنبيــه على أن المتعلمين أحيانا تنطبع في أذهانهم عنـا تصورات غير صحيحـة، وقـد تكون صحيحة، فـلا بـد أن نَسمعهـم، ونُسمعهم، ولا نتركهم فريسة للأوهام والظنون السيئة.

7ـ على الأستاذ أن يُعَلّم متعلميه الصراحة معه في كل شيء، وأن لا يغضب من مكاشفتهم له ببعض الأمور التي يؤاخذونه بها، ولو كانت مجــرد أوهام يتوهمونها، إذ بسماع كلامهم وشكواهم تتضح له ولهم كثير من الحقائق.

8 ـ استفــدت من تجربتــي أن الأستاذ يؤثر في متعلميــه عندما يعاملهم بإخلاص، وأنه يستفيد منهم في كل حصة إذا أراد ذلك، ولا أبالغ إذا قلت إننا أحيانا نستفيد من بعض التلاميذ الذين يبدو لنا من أحوالهم أنهم كسالى مالا نستفيده من بعض المجتهدين، ذلك لأن المجتهد تكفيه الإشارة، وربما مع هذه الإشارة قد تفوتنا أمور كثيرة، أما المتعلم الكسول مثلا، أو المشاغب، فلو لم نتعلم منهما إلا ما نقوم به الاعوجاج الحاصل منهما لكان ذلك كافيا.

9 ـ علمتني التجربة أن بعض الحزم في بداية السنة الدراسية يجعلك تشتغل بارتياح بقية السنة، وإنما قلت بعض الحزم لأن كل الحزم أو كل الليونة قد يؤديان إلى ما لا تُحمد عقباه، كما هو مشاهد في الواقع، فالمطلوب من الأستاذ أن لا يفرط في الشدة واللين مع المتعلمين .[3]

3 قد شرحت هذه الفكرة بتفصيل في الفكرة الأولى الوارة في الجزء الأول من " 20 فكرة من تجربة السنة الدراسية الأولى 1435هـ 2014م. ." ص: 3.

شبكة الألوكة www.alukah.net

10_ أفادتني التجربة في ميدان التدريس أن المتعلمين لا يحتاجون كلهم للأستاذ[4] بمعناه المتعارف عليه الذي هو مالك للمعرفة كما كان يُنظر إليه في عهد التدريس بالأهداف، أو بمعناه الجديد الذي بشرت به الكفايات، بل منهم من يرى في الأستاذ الأب الحنون، ومنهم من يرى فيه الأخ العطوف، ومنهم من يرى فيه الصديق الوفي الناصح الأمين، ومنهم ومنهم...، فبعض المتعلمين قد يحتاجون منا (قطرة اهتمام، مفعمة بحب واحترام، لكي يغير حياته إلى الأبد)[5]. حقا ما أعظم هذه المسؤولية الملقاة على عاتقنا !

11_ إذا درَّس الأستاذ مقررا معينا كل سنة دراسية بطريقة واحدة لا تتغير، فإنه سيصاب بالملل، وربما يؤدي هذا إلى ظلم تلاميذه، وقد وصلت إلى قناعة بدأت أطبقها في هذا الموسم الدراسي حتى أدفع هذا الملل عن نفسي وأجنب المتعلمين الحيف والظلم، وهذه القناعة استفدتها من أستاذي الكبير كمال وجاد، حيث يقول: (إذا كان كل موسم دراسي جديد لا يتطلب مني غير تغيير في تاريخ مكتوب في أعلى السبورة، بعيدا عن إعادة النظر في طرق الاشتغال وأنماط التواصل وأساليب التدريس... فلأتحسس قلبي فلربما يكون قد كفَّ عن النبض منذ سنوات).[6]

وقولة الأستاذ الفاضل تحث الأستاذ على المراجعة الدائمة لطريقة عمله مع المتعلمين، ويندرج في هذه المراجعة التجديد في الطريقة والأسلوب، إضافة الى تنويع الاستراتيجيات حسب حاجة كل قسم، إذ ما يصلح من أسلوب وطريقة لقسم في السنة الماضية قد لا يصلح لقسم آخر في هذه السنة، بل ما يصلح داخل قسم واحد لمتعلم معين قد لا يصلح لآخر، وقس على ذلك.

---

4 ويرى صديقي فضيلة الأستاذ خليل شهيد أن هذه المسألة ليست على عمومها وإطلاقها، بل هي مقيدة بضرورة التعامل الفطن من الاستاذ، وكذا تقدير الأمور بقدرها.

5 مختارات تربوية، لأستاذنا كمال وجاد، رقم: 13.

6 مختارات تربوية، للأستاذ الفاضل كمال وجاد، رقم: 21.

شبكة الألوكة www.alukah.net

والمتعلمون قد يلاحظون هذا الأمر، وقد سمعت إحدى تلميذاتي المجتهدات تقول: (من خلال حضوري إحدى الساعات الإضافية عند أستاذ درَّسني سابقا أثار انتباهي وملاحظتي أمر مهم، وهو النمطية القاتلة التي وقع فيها الأستاذ، إذ إنه يعيد الدرس الذي كنت قد درسته عنده بنفس المقدمة ونفس الأمثلة).[7]

وهنا لا بد أن نفرق بين المنهجية المتبعة المنصوص عليها في التوجيهات التربوية، وبين الطرق والأساليب، فالمنهجية مثل اختيار التدريس بمنهج الكفايات فهذه لا تقبل التغيير ولا مناص من اتباعها الآن ما لم يأت ما ينسخها !

وأما الطرق والأساليب فأرى أنه يجب على المدرس تغييرها تبعا لتغير الظروف والأحوال، ومن ذلك تغيير أمثلة الدرس من قسم لآخر، والبحث المستمر عن الجديد، وفسح المجال للمتعلمين ليأتوا بأمثلة من واقعهم الذين يعيشون فيه، وما أكثرها في دروس التربية الإسلامية، فذلك أدعى لأن يستوعبوا الدرس.

12_علمتني التجربة أن الأستاذ الناجح في عمله، هو الذي ينصت أكثر مما يتكلم، و يستفيد من غيره ولو كان يختلف معه، ولا يربط الفكرة بالأشخاص، لأنه _ كما قال المفكر الجزائري مالك بن نبي رحمه الله _: (عندما نربط الأفكار بالأشخاص، نُحرَم من الفكرة الجيدة إن جاءت من عدو، ونتورط في فكرة سخيفة طالما جاءت من صديق).[8]

وما أكثر ما يستفيده الإنسان من خصومه ومن مخالفيه إذا فتح صدره وعقله !، وأصل المسألة ولبها في ذلك أن نكون عادلين، لا يجرمَنَّ أحدَنا شنآنُ قوم على أن لا نعدل، كما جاء في التوجيه القرآني المعروف.

---

7 لن أصرح بأسماء المتعلمين الذين استجوبتهم لمعرفة آرائهم في بعض القضايا المطروحة في هذا التقييد، لاعتبارات كثيرة لا داعي لذكرها هنا .

8 نسب الكاتب الكاتب محمد عبد الله الوهيبي هذه القولة لمالك بن نبي في مجلة البيان، العدد: 336 لشهر شعبان 1436هـ. ماي- يونيو 2015م، ص: 81.

شبكة الألوكة www.alukah.net

13_ مما لا يستسيغه منا المتعلمون الأعزاء وأفصحوا عنه مرارا بمرارة شديدة، أن نعاقبهم جميعا بسبب خطأ صدر من أحدهم، أو أن نطالبهم بكشف الجاني وإلا استحقوا كلهم العقاب.

إنني أنكر أن يؤاخَـــذ المحسنُ بجريرة المسيء، ولا أرى من الحكمة أن يَصُبُّ الأستاذ المربي جامَ غَضَبِه على جَمْعٍ ممن هُمْ تحت يده، أو يعاقبهم عقاباً جماعياً، أو يحرمهم مِن امتيازٍ كانوا يتمتعون به بسبب خطأ واحد منهم أو أكثر؛ فيجني البقيةُ عاقبةَ ذلك الخطأ، ويُحْرَمُون مِنْ حَقٍّ كان لهم، مع أنهم لم يرتكبوا ما يوجب ذلك.

و في كثير من الأحيان قد يرتكب أحد المتعلمين خطأً، فيكون العقاب على الباقين، وربما أمطر المعلم وابلاً من التقريع عليهم، وقد يكون الجاني غائباً لم يسمع شيئاً من ذلك.

فنكون بذلك قد وقعنا فيما حذرنا منه شاعر الحكمة أبو الطيب المتنبي حين قال:

وجـرم جرَّه سفهاءُ قـــومٍ """ وحلَّ بغيـر جارِمـــه العــذابُ[9]

---

9 ومعنى البيت: كَمْ جرمٍ، وربّ جرمٍ –وهو الذنب والخيانة– جناه سفيهٌ، فنزل بغيره من الأبرياءِ العذابُ، ولقد توارد على هذا المعنى الشعراء؛ فقد سبق أبا الطيبِ امرؤُ القيس إلى هذا المعنى بقوله:

وقاهم جدّهم ببني أبيهم "" وبالأشقين ما كان العقاب

وقال آخر:

رأيت الحرب يجنيها رجال "" ويَصْلَى حرّها قومٌ بَراء

وقال آخر:

جنى ابن عمك ذنباً فابتليتَ به "" إن الفتى بابن عم السوء مأخوذ

وقال آخر:

نصد حياءً أن نراك بأعين "" جنى الذنبَ عاصيها فَلِيمَ مطيعها

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولقائل أن يقول: ما العيب في ذلك إذا كان قصد الأستاذ أن يسد بعقابه الجماعي ذريعة الشغب ويمنع كل من تسول له نفسه أن يفكر فيما فعله زميله فيما يُستقبل من الأيام، وبذلك يكون قد وأد الفتنة في مهدها كما يقال؟

أقول قد يصح ذلك، ولكن في حدود ضيقة جدا، وأنا أتحدث هنا عن تجربة جربت فيها تعميم العقاب على قسم معين مرة ، حيث أخرجت يوما المتعلمين كلهم من القسم وحرمتهم من حصة درس ذلك اليوم، وهي أول مرة، وأرجو أن تكون آخر مرة، فكانت النتيجة سيئة تُطوى ولا تُــروى، ولما جربت التخصيص والتعيين كانت النتيجة حسنة، بل وجدت القسم كله معينا وناصرا وظهيـرا لي في ذلك العتاب أو العقاب المحمود، والأستاذ الحكيم هو الذي لا يفتح على نفسه بابا يُعييه إغلاقه.

14_ مما أنصح به غيري من زملائي الأساتذة أن يستحضروا قبل الدخول إلى أي حصة دراسية خريطة ذهنية، يتوقعون فيها أهم ما يخطر ببالهم أنه ربما سيقع لهم مع المتعلمين، حتى إذا وقع شيء من ذلك يكونون قد وطَّنُوا أنفسهم عليه قبل وقوعه، وبذلك يحسنون التصرف مع أي جديد.

15_ حيـــل المتعلمين معنا معشر المعلمين لا حدود لها[10]، ومنها ما لا يخطر ببال أحدنا حتـــى تقع منهم، فـلا يكاد ينتهـي عجبنا منها، ولـــو أنهم فعلـــوا مـا يوعظـــون به بكرة وعشيا من ضرورة الاجتهـاد فيما ينفعهم، وترك إضاعة الوقت في نسج هذه الحيل، لفازوا فوزا عظيما.

فوجب التنبيه هنا على هذا الأمر حتى يكون الأستاذ على بينة منه، ولا بأس عندي أن ينبه الأستاذُ صاحبَ الحيلة والخديعة بإشارة وتلميح أو تصريح.

---

10 تلك الحيل كثيرة ولها صور مختلفة، كالتظاهر بالمرض، أو الفقر، أو كثرة المشاكل إلخ، ولا أنكر صحة بعض ما يُذكر منها في الواقع، ولكن يجب التثبت، والمقام لا يتسع لسرد حالات كثيرة وقفت فيها على كذب زعم أصحابها، وعلى بعض الحالات التي تبثث صحتها بعد التمحيص والتحري.

شبكة الألوكة www.alukah.net

16_ من أخطاء بعض المدرسين أنهم يأخذون كل ما يسمعونه من غيرهم في شأن التعليم عموما، أو في شأن بعض المتعلمين خصوصا مأخذ الجد، وكأن ذلك حقائق علمية لا تحتمل إلا الصحة، مع أن الأمر لا يعدو أن يكون تجارب جربها صاحبها، وقد يجربها غيره فلا تنتج له ما أنتجته للأول، لاعتبارات وأمور كثيرة.

ولله در أستاذي الفاضل كمال وجاد إذ يقول في هذا المقام: (أن تدخل الفصل في بداية الموسم الدراسي محمَّلاً بانطباعات زملائك المدرسين عن هذا الفصل، تكون قد حرمت نفسك من أجمل شيء في التدريس: الحق في بناء التجربة الذاتية وتحقيق المشروع الشخصي).[11]

وهنا أستحضر ما كان ينصحنا به بعض أساتذتنا المرشدين _ جزاهم الله خيرا_ أيام التدريب عندهم في مؤسساتهم، حيث كانوا ينصحوننا بأن تكون لدينا الاستقلالية والإبداع، لأنهما أمران مهمان للأستاذ في قسمه.[12]

17_ كان لحضوري في حصص بعض زملائي الأساتذة في المؤسسة أثر كبير في صقل تجربتي في التدريس، ولن أنسى فضل هؤلاء السادة الفضلاء علي[13]، والمقام لا يتسع لذكر كل ما استفدته من هؤلاء الكرام جزاهم الله عني كل خير،

---

11 مختارات تربوية، للأستاذ المحترم كمال وجاد، رقم: 20.

12 كان ذلك في سنة التكوين والتدريب بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بمراكش الحمراء، في الموسم الدراسي 2012– 2013م، ومن أساتذتنا الفضلاء الذين كانوا يلهجون كثيرا بهذه النصيحة: ذ. لحسن أيت أمغار، وذ. إبراهيم المواق، و ذ. يوسف السراج الأندلسي، أثابهم الله جميعا على نصائحهم وتوجيهاتهم السديدة.

13 إكراما لهؤلاء السادة الأساتذة والأستاذات، واعترافا بفضلهم، أرى لزاما أن أذكر أسماءهم هنا، وهم السادة: ذ. عبد الكريم بلبال أستاذ اللغة العربية بالثانوي التأهيلي، و ذ. واصل الخرشي أستاذ علوم الحياة والأرض بالثانوي التأهيلي، وذ. إبراهيم السوسي أستاذ التربية الإسلامية بالثانوي الإعدادي، و ذ. إبراهيم بردان مدرس الفلسفة بالثانوي التأهيلي، و ذ. علي بو جبهى أستاذ اللغة العربية بالثانوي الإعدادي، و ذ. جواد عابيد أستاذ الاجتماعيات بالثانوي التأهيلي، وذة. خديجة الزكراوي أستاذة اللغة الفرنسية بالثانوي التأهيلي، وذة. سعيدة أنحاس أستاذة اللغة الإنجليزية بالثانوي الإعدادي، وذ. سلمان بو لهيب مدرس اللغة العربية بالتعليم الإعدادي، وذ. خليفة هرموزي أستاذ مادة التكنولوجيا بالتعليم الإعدادي، وذ. عبد الهادي طالع أستاذ اللغة الإنجليزية في الثانوي التأهيلي، وذ. خلدون خيران أستاذ الرياضيات.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن أشير هنا بإشارات تلخص أهم ما استفدته من هذه التجربة الغنية بالفوائد والعبـر:

- ❖ من أعظم ما استفدته من هذه الحصص أنه كلما حضرت فيه، إلا وتذكرني دائما بأيام دراستي، حين أجلس مع المتعلمين في الصف وكأنني واحد منهم، أستقبـل ببصري أستاذي المدرس، وأصغـي بسمعي لشـرحه، وأستمتع بحلو حديثه، وأحيانا أشارك بفكرة تخطر على بالي، بل أحيانا أجد نفسي في موقف أضطر فيه إلى الاستجابة لطلب أستاذي صاحب القسـم، فأقف أمام المتعلمين أشرح لهم مسألة نزولا عند رغبة أستـاذي الذي يقول مثلا: " ونعطي الكلمة لأستاذ التربية الإسلامية ليشرح لنا هذه المسألة".
- ❖ ومنها أن تلك الحصص توقفني على حاجتي الدائمة إلى الاستفادة من تجارب زملائي الأساتذة.
- ❖ ومنها الوقوف على مستوى متعلمـي في المواد الأخرى، وخاصة تلك التي لها علاقة وثيقة بمادة التربية الإسلاميـة، كاللغـة العربية مثـلا، والفلسفة، وعلـوم الحياة والأرض، والاجتماعيات.
- ❖ ومنها إدراك أوجه الترابط بين مادة التربية الإسلامية، وبيـن المواد الأخرى، وذلك يساعدني في بث روح جديدة في طريقة تدريس المادة.
- ❖ ومنها تقوية العلاقة بيني وبين زملائي الأساتذة، وتدارس مشكلات وعوائق التعلم لدى المتعلمين.
- ❖ ومنها الوقوف عمليا على كيفية تعامل المتعلمين مع كل مادة، لإدراك أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف.

إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة التي جنيتها من هذه الحصص، فأشكر جميع زملائي الذين فتحوا لي صدورهم وأقسامهم لأشاركهم تجاربهم، وأقطف من ثمرات جهودهم المباركة.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

18 _ من أهم ما يعانيه أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي وهو يؤدي رسالته ويحب أن يعمل بجد مع المتعلمين، ومن أكبر ما يعيق سيره، هو كيف يصلح الخلل ويرمم النقص المعرفي لدى متعلميه، وإن كان غير مسؤول عن ذلك في الأغلب الأعم، لأنه ليس أمرا طارئا على المتعلمين عنده حتى نحمله المسؤولية في وقوع ذلك، وإنما هو ناتج عن سنين مضت من المراحل الدراسية، والأستاذ في هذه الحالة أمام أمرين أحلاهما مرٌّ كما يُقال:

الأول: أن يغض طرفه عن ذلك النقص ويتابع عمله فيما هو مطلوب منه في مرحلته، ويكتفي بتحميل غيره المسؤولية على ما وقع.

الثاني: أن يحاول إصلاح ذلك الخلل، وأنى له ذلك وقد اتسع الخرق على الراقع كما يقال ! والوقت لا يسمح بذلك.

فبقي أمر ثالث أرى بعض الأساتذة يلجؤون إليه لإصلاح ما يمكن إصلاحه، ألا وهو التنبيه على الأخطاء الشائعة كلما سمحت الفرصة، وإصلاح بعض الأخطاء في حينها، وهذا في نظري أضعف الإيمان وأبرأُ للذمة.

وهنا لا نجد بدا من التنبيه والتأكيد على مسألة في غاية الأهمية، وهي ضرورة ضبط المتعلم للمراحل الأولى من التعليم، وخاصة التعليم الابتدائي، الذي هو أصلٌ وعمدةٌ ودعامةٌ تتأسس عليه كل المراحل التي تأتي بعده، فبصلاحه يصلح ما بعده، وبفساده يفسد أو يضعف ما بعده، ولسنا في حاجة إلى ضرب أمثلة للتدليل على ما ذُكر، لأن الواقع ينطق بلسان الحال ويؤكد ما قلته.

19 _نخطئ حينما نظن أن التقويم الذي نلجأ إليه في التدريس بجميع أنواعه، يراد به تقويم المتعلمين وقياس درجة تحقق أهداف التعلم وكفاياته، وننسى أن من أهداف ومقاصد التقويم السليم العادل، أنه فرصة أيضا لنقوم به أداءنا ومعرفة ما يصلح من الطرق والأساليب التعليمية وما لا يصلح، وهو ما يمكن أن نسميه بالنقد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الذاتي، وهو وإن كان صعبا أحيانا على النفس، فإنه لا مفر منه إذا أراد الأستاذ أن يجود أداءه ويحسن عمله.

يقول أستاذنا الكريم كمال وجاد في إحدى مختاراته التربوية: (وأنت تقوم بعملية التصحيح، تمر أمامك سريعا عشرات التجارب واللحظات الصفية وتتقاسمك مشاعـر الرضـى والأسـى، تجعل من القلم الأحمر بين يدك ينزف مدادا أحمر، أو يرسم إكليلا على شقائق النعمان، هي ذات اللحظة التي تجعلك تسائل طرائقك وأساليبك... إنه تقويم للذات قبل أن يكون تقويما للموضوع)[14].

أما أن يكون قصدنا دائما من التقويم هو الوقوف على مكامن الخلل عند المتعلم، فهذا التفكير في نظري المتواضع قد اتسع عليه خرق الغلط من ثلاثة أوجه، وهي:

الوجه الأول: أنه يجعل المتعلم دائما هو المتهم الأول فـــي ضعف مستـواه الدراسي، وهذا أسهل وأقصر حائط يمكن أن يظهره ويتسلقه أي واحد منا، وبذلك يُـعفي نفسه من أي محاسبة للنفس ونقد للذات.

الوجه الثاني: أنه يُحـرم الأستاذ من أعظم وأجَـل متعة في التعليم، وهـي البحث الدائم، والتنقيب المستمر عن البدائل الملائمة، وترك كل ما لا يفيد، فليس عيبا أن نخطئ مرة أو مرتين، ولكن العيب كلَّ العيب أن نتمـادى في الخطأ، أو نجتهد في تعليل وتصويب أخطائنا.

الوجه الثالث: أن الأستاذ الذي لا يُقوم نفسه وطريقته في العمل، قد يأتي عليه حين من الدهر وهو يجد نفسه خارج السياق، وينظر يمينا وشمالا فيرى كل شيء

14 مختارات تربوية، رقم: 17.

شبكة الألوكة www.alukah.net

من حوله قد تغيــر، فيندب حظه العاثر، ويتمنى لو عاد الزمان إلى الوراء ليتدارك ما حل به.

20 ـ يعجبني من الأساتذة ذلك الأستاذ الذي لا يتحدث في حصصه عــن سيرته وبطولاته في الحياة، مما لا يفيد تلاميذه في شيء، فدع أيها الأستاذ الكريم أعمالك وأفعالك الحسنة مع المتعلمين تتحدث عن سيرتك، لأنها هي اللغة التي يفهمها الناس، وهي خير من يعبر عنك تعبيرا صادقا، وقد قيل في مأثور الحِــــكم: " **الأفعـــــال أبلـــــغ من الأقـــــــوال**".

21 ـ من تلبـيسات بعض المتعلمين الذين يكرهون الجد في الدروس، أنهم يعمدون إلى أسئلة قد أعدوها سلفا لا عـلاقة لها من قريب أو بعيـد بموضوع الدرس، وغايتهم صرف الأستاذ عن الموضوع وتوجيــه الدرس الوجهة التــي أرادوها، والأستاذ الذكي هو الذي يفطن إلى تلك الحيل، فلا يسقط في حبالها ولا يقع في فخها، بل يصرف السائل صرفا لطيفا، ويجيبه بما يسميه أهل البلاغة "الأسلــوب الحكيم"[15].

لكن على الأستاذ أن يميز بين المتعلم الذي يسأل من أجــل ذلك الغــرض المتقدم، وبين المتعلم المجد الذي يسأل من أجل الفهم، حتى لا يحرم الســائل المجد من حقه في الجواب بسوء الظن أو التخمين أو التوهم، إذ من الخطأ الفادح

---

15 هو من الأساليب البلاغية الجميلة التي تعجبني كثيرا، ومعناه: أن تتلقى المخاطَب بأمر لا يتوقعه، وله طرق منها: ترك سؤاله والإجابة عن سؤال آخر افتراضي، أو الإجابة عن سؤاله بغير ما يقصده، كأنك تقول له كان ينبغي أن تسال عن كذا.

ومن أمثلة: قوله تعالى:{ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج} لأن بعض الصحابة سألوا الرسول عن الهلال، ما باله يبدأ صغيرا ثم يكبر، ثم يتضاءل حتى يختفي، فعلمهم القرآن أن الأهلة هي مواقيت للعبادات.

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى:{ يسألونك ماذا ينفقون، قل ما أنفقتم من خير فللوالدين...}

ومن أمثلته كذلك ما ورد في قصة الحجاج مع أحد الخوارج حين قال له: لأحملنك على الأدهم"القيد"، فرد عليه: ومثلك يحمل على الأدهم والأشهب"الخيل". والحوار بينهما طويل، ومليء بأسلوب الحكيم.

شبكة الألوكة www.alukah.net

تعميم الحكم على جميع المتعلمين، وفي ذلك ظلم وجور، فلا بد إذن من التفريق بين حالة وأخرى، عملا بالحكمة المعروفة التي تقول: " من جعل الناس سواءً، فليس لحمقه دواءٌ".

22_ من الوسائل التي جربتها لضبط الشغب في القسم، أن أعرف مصدر الشغب أولا، ثم أتغافل عنه إذا صدر من غير قصد مرة أو مرتين، فإن بدأ يفشو ويتسع ذهبت قصدا إلى مصدره لعلاجه وقطع منبعه.

ومن أفضل ما جربته في ذلك أن يكون حديثي بالترغيب والترهيب مع مصدر الشغب ومثير الإزعاج بيني وبينه في وقت غير وقت الدرس، حتى لا يستقوي بغيره من أنصاره، فإذا عُرف من يتزعم الشغب في القسم وضُبط هذا المصدر سهُل ضبط القسم كله، لأن هذا الزعيم يكون للآخرين بمنزلة القلب لجميع الجوارح، وبمنزلة الروح للجسد، فبصلاح الروح والقلب تصلح الجوارح والجسد.

وواهم من ظن يوما أنه بالتهديد ورفع الصوت باللعن والشتم، والضرب بالسوط، سنقضي على آفة الشغب التي عمت بها البلوى في مدارسنا.

23_ تبين لي بعد طول تأمل في شغب المتعلمين، أن من بعض أسبابه التي ينبغي أن نمتلك الشجاعة للاعتراف بها، هي بعض تصرفاتنا نحن الأساتذة، ولست بحاجة إلى استقصاء واستقراء أمثلة من هذه التصرفات المفضية إلى ما ذُكر، ولكن حسبي أن أذكر مثالين، يقاس عليهما ما لم يُقل:

الأول: ما ذا ينتظر أستاذ من متعلميه أن يعاملوه به، حين لا يحترم مشاعرهم، ولا يراعي أحوالهم، فيسبهم، أو يلعنهم، أو يسخر منهم؟ !

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الثاني: وما ذا يتوقع أستاذ من متعلميه الذين يضيعهم في كل حصة، فلا يؤدي أمانته ورسالته على أحسـن وجه حسب استطاعته؟ !

24 ـ القمع والاستبداد بالرأي، صفتان ذميمتان يجب على الأستـاذ وجوبا عينيا أن يتخلـى عنهما، وذلك بأن يتحلـى بضدهما، وهو أن يفسـح المجال للمتعلم ليعبر عن رأيه بحرية، وأن ينزل عند رأي المتعلم ويقبله، إذا ظهـر أنه صواب، ولو كان مخالفا لما استقر عند الأستاذ أنـه صحيح، فالمتعلمون أحيانا بعفويتهم وسجيتهم يأتون بأفكار جيدة، ما كانت تخطر لنا بالبال، وكم من أفكـار جيدة استفدتها من أجوبة المتعلمين في أوراق الامتحانات، ما كنت أتوقعها منهم.

25 ـ أكاد أجـزم بأن الأستاذ الذي يضبط أمـوره مع المتعلمين، ومع الإدارة، ويعرف ما عليه من الحقوق، وما له من الواجبات، هذا الأستاذ أجزم أنه سينجح في عمله، وسيكون التوفيق حليفه في أغلب ما يأتـي ويـذر.

إنه ذلك الأستاذ الذي يحضر في الوقت، ويلتزم بما عليه من الواجبات، مع نفسه ومع غيره، ويعطي لكل ذي حق حقه.

26 ـ رُبَّ كلمة تخرج من فمك أيها الأستاذ في حالة الفرح، أو فـي حالـة الغضب، لا تلقي لها بالا، تؤثر تأثيرا حسنا أو سيئا في نفس زملائك في العمل، أو في نفس متعلميك في القسم، لذلك وجب ضبط اللسان، ومراعاة نتائج التصرفات والمآلات، ولله در الشاعر العربي إذ يقول:

جراحات السنان لها التئام "" ولا يلتام ما جرح اللسان

27 ـ تعلم عزيزي الأستاذ أن تصنع المعروف دون انتظار الثناء الحسن من الناس، فليس كل الناس يحبون منك أن تصنع المعروف، ولا تكن من الذين إذا صنع أحدهم معروفا يوما، وانتظر من الناس مدحا، فإذا سمع قدحا، أحجم

شبكة الألوكة www.alukah.net

وانتكس، وتذكر دائما أنه لا يسْلَم أحد من كلام الناس، مهما بلغ في درجة العلم والحلم والجود، كما قال الشاعر علي بن الجهم:

وَمَن ذا الَّذي تُرضى سَجاياهُ كُلُّها "" كَفى المَرءَ نُبلاً أَن تُعَدَّ مَعايِبُهْ

28 _ علمتني التجربة أن على الأستاذ أن يراعي أفهام المتعلمين عنده، وأن يختار الأسلوب المناسب لكل فئة منهم، وهذا يتطلب منه صبرا وأناة.

ومن مراعاة أفهام المتعلمين عندي، أن يترك الأستاذ تحديث متعلميه بكل ما لا تبلغه عقولهم من المسائل، ولو كانت صحيحة ومفيدة في ذاتها، لأنها قد تشوش على المتعلم، وتحول بينه وبين فهم ما يُطلب منه فهمه في تلك المرحلة، فتحدث بذلك مفسدة ظاهرة تفوق أو تساوي مصلحة علمهم بتلك المسألة، ومن القواعد المهمة في الشريعة الإسلامية التي تصلح لكل المجالات: أن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة[16].

وهنا تحضرني قولة مشهورة مأثورة عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وهي قوله: (**ما أنت بمحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة**)[17].

---

16 كما في لقاء مع السيد مفتش مادة التربية الإسلامية ذ . المصطفى المتاقي في السنة الماضية يوم 17 جمادى الأولى 1435هـ الموافق لـ: 9 مارس 2014م، فكان مما نصح به – جزاه الله خيرا– أنه ينبغي للأستاذ أن يحرص في النقل الديداكتيكي للمعارف على عنصرين اثنين، وهما:

عنصر الاختزال، ويعني ذلك أن يركز الأستاذ على المطلوب منه فقط مما يراه مناسبا للمتعلم دون لف أو دوران أو استطراد لغير حاجة، سواء تعلق الأمر بتوثيق النص، أو شرحه. . .

عنصر الملاءمة، بمعنى أن يحسن الأستاذ تنزيل تلك المعارف في الوقت المناسب للفئة المناسبة.

17 هذا الأثر الموقوف على عبد الله بن مسعود، أخرجه الإمام مسلم في مقدمة كتابه الصحيح، وأورده الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى من سورة الأعلى: (فذكر إن نفعت الذكرى) .

شبكة الألوكة www.alukah.net

29 _ رأيت من حرص المتعلمين على استغلال أوقاتهم، وبحثهم عن الأساتذة ليذللوا لهم بعض الصعاب التي يلاقونها وهم يستعدون للامتحان الجهوي، رأيت من حرصهم ذلك ما يثلج صدري، ويذهب همي وحزني، وقد عشت معهم هذه التجربة كلها التي دامت نصف شهر، وكنت معهم أساعدهم وأبحث معهم وأعاني معهم بعض ما يعانون، فكانوا يسبقونني إلى القسم وينتظرون مجيئ وأنا الذي كنت أسبقهم دائما إلى القسم في أيام السنة كلها، فقلت في نفسي: ليت تلاميذنا الأعزاء يبذلون مثل هذا الجهد في سائر أيام السنة الدراسية، إنهم لو فعلوا ذلك أو بعضه لكان لنا ولهم شأن عظيم.

30 _ أيقنت يقينا لا شك بعده ولا شك معه، بعد هذه التجربة المتواضعة، أن التواصل والحوار مع زملائي في العمل، ومع المتعلمين، هو السبيل الواضح الذي إذا سلكناه، نصل إلى المبتغى بأقل جهد، وليس ذلك بمستحيل أو عسير، إذا وُجدت النية الصادقة، والرغبة الحميدة.

وقد علمتني التجربة أن مواطن الاتفاق بيننا كثيرة، في حين أن مواطن الاختلاف، أو الخلاف قليلة، لذلك ينبغي التعاون في المسائل المتفق عليها، وترك المسائل المختلف فيها، التي يسع فيها القول، وتُلتمس فيها الأعذار، عملا بالقاعدة العظيمة المنسوبة إلى الإمام حسن البنا رحمه الله، وهي قوله: (**نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه**)[18].

فما يبدو لأحدنا أنه هو عين الصواب في اختيار تربوي معين، قد يبدو لآخر أنه ليس بذاك، ولا ضير في ذلك الاختلاف، إذا كان مؤسسا على قناعات يدعمها الدليل والبرهان، وكان القصد منه أولا وأخيرا المصلحة العامة للجميع.

---

18 وهي قاعدة وجيهة وسليمة، وإن حاول بعض الناس إنكارها بتأويلات وإيرادات بعيدة لا أظن أن واضع القاعدة يقصدها، فهي قاعدة تصلح أن تكون مرجعا يستدل به في مثل ما أوردته هنا.

شبكة الألوكة www.alukah.net

أما أن نختلف من أجل الاختلاف، ونعارض كل رأي لا يوافق أهواءنا، فتلك عادة قبيحة، جدير بنا أن نتجنبها.

وكم يعظم الإنسان في عيني إذا تبين له الحق فيرجع إليه بسرعة معتذرا، دون تردد أو دفاع عن الخطأ، ولسان حاله يقول: (الرجوع إلى الحق بالاعتذار، خير من التمادي في الباطل بالاستكبار)[19].

19 هذه الحكمة من مرويات صديقنا العزيز الأستاذ أحمد بوكار عن شيخه الجليل عبد الله بنطاهر، في خطبة من خطبه يوم الجمعة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

خاتمة

هذا ما تيسر لـي جمعه مما حضرنـي من بعض ما تعلمته عمليا في مهمة التدريس والتربية، ولا شك أنه سيفوتني شيء كثير، بسبب حداثة العهد بالميدان، والأيام والسنون الآتية بإذن الله حبلى بتجارب أخرى، أرجو أن أُوفق لجمعها تذكرةً لنفسي ولغيري ممن هم في مستوى الحاجة إليها، يقينا مني بأهمية الكتابة والتدوين، لأن الكتابة قيدٌ للمعلومات والتجارب مهما كانت، حتى لا تضيع وينسج عليها مرور الوقت نسجا من الإهمال وخيوطا من النسيان.

و يمكن إجمال أهم ما توصلت إليه بعد الفراغ من تدوين هذه الأفكار في الآتـــي:

- كان الغرض من تدوين هذه الأفكار بعد انتهاء تجربة سنة دراسية تقويما للعمل داخل الفصل الدراسي، ونقدا للذات، بطريقة صريحة[20].
- بيان ما في تدوين هذه الأفكار والتجارب من الفوائد الكثيرة، سواء لي، أو لغيري ممن سيطالعها.
- انفتاح هذه التجربة على تجارب أخرى، وهي تجارب أعتز بها، وأشكر عليها أصحابها، وقد سبقت الإشارة إليهم في موضعه.
- مزج هذه التجربة بين الجانب التطبيقي والجانب النظري في الأغلب الأعم، وقد تميل عندي كفة التطبيق على التنظير في مواطن تقدمت، وذلك أمر مقصود.

---

20 لأستاذنا الفاضل كمال وجاد كلام نفيس، يُشعر أي مدرس بجسامة المسؤولية بعد انتهاء كل موسم دراسي؛ أرى أن أجعله مسك ختام هذه الهوامش والحواشي، يقول الأستاذ العظيم : (حينما ينسدل الستار معلنا نهاية موسم دراسي، تكون تجارب تربوية وعلاقات إنسانية وروابط أخوية وعادات يومية وتواصلات بشرية وتعاقدات بيداغوجية. . . قد انتهت معه، وهو ما يجعل كل مرب بين ألَم فقْد جزءٍ منه، وبين أمل قبول أدائه الرسالة)، مختارات تربوية، رقم: 8 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

- لم أراع في التدوين ترتيبا معينا لتسلسل تلك الأفكار، لأن ذلك يحتاج إلى جهد آخر، ولا أرى له فائدة ذات شأن كبير في مثل هذا التدوين.

هذا ولا أدعي العصمة أو الكمال لهذه التجربة، وحسبي أنني حاولت أن أنقل من خلالها ما عشته، وغلب على ظني أنه يمكن أن يفيدني، أو يفيد غيري.

و ألتمس في الختام من كل من يطالع ما سطرته وحررته، أن يصحح ما يقف عليه فيه من خطأ أو زلل، ورحم الله من أهدى إلـــــي عيوبـــي، وأسأل الله في البدء والختام أن يجزي عني خير الجزاء كل من أفادنـــي من قريب أو بعيد في هذه التجربة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وحرر بـبني يوم الأربعاء 16 رمضان المعظم 1436هـ الموافق لـ: 3يوليوز 2015م.

ذ. محمد الحسين نـحُّـوا

Mohamed.nahhou@gmail.com

شبكة الألوكة
www.alukah.net